



هل يستطيع العلماء ان يصنعوا المادة الحية

اشهر المحاولات العلمية واحدها

١

صنع المادة الحية في المعمل من اقدم ما طمح اليه العلماء . ولعلهُ قديم كحواولة الكيماويين القدماء تحويل الذهب الى رصاص . لذلك اهتزت الدوائر العلمية الاميركية لما اذاعت الصحف اليومية ان احد جراحي مدينة كليفلند — الدكتور جورج كريبل — صنع مادة حيّة في معمله ، ونظر العلماء الى هذه الاقوال بشيء كثير من الريب وكثيراً ما بدا لبعض الباحثين في هذه الناحية من العلوم الحيوية ان خلق الحياة في المعمل قد تمّ لهم . ومن اشهر هذه التجارب تجربة الدكتور باستيان الانكليزي الذي وضع في سنة ١٩١١ مواد غير حية في انايب زجاجية واقفلها اقفالاً محكماً ثم احماها الى درجة لا تحملها المادة الحية ثم تركها في مكان معرض لاشعة الشمس المتفرقة بضعة اشهر فأخذ يبدو فيها ، رويداً رويداً ، ذرّات دقيقة من مادة هلامية بعضها يشبه الفطر وبعضها يشبه الخماثر والبعض الآخر يشبه البكتيريا الدقيقة . ولدى البحث وجد ان هذه الذرات تصطبغ ببعض الاصباغ كما تصطبغ الاحياء الحقيقية التي تقابلها، وتتناسل اذا غذيت بالمواد المناسبة . وظلّت هذه الاحياء المخلوقة بواسطة الانسان، سرّاً يثير اعجاب الجمهور وحيثه تسعة ايام فقط لأنه ثبت بعد ذلك ان خطأ تطرّق الى التجربة فلم تكن سليمة من كل النواحي التي تقتضيها الدقة العلمية

وقد صنع حديثاً عالمان من علماء وظائف الاعضاء — الدكتور مكدوغل (M.C.) والدكتور فلاديمير موراثك — خلية صناعية ولكنهما لم يدعيّا انها خلية حية . ذلك انها اخذوا وعاء صغيراً من ورق معيّن وملاءه بهلام نباتي ثم طلياه من الخارج بمادة نباتية توجد عادة خارج الخلايا النباتية وطلاياه من الداخل ببعض المركبات التي تكون في البروتوبلازم الحي . فلما غمسا هذه الخلية في الماء او في بعض محلولات ملحية معينة ، تصرفت مع انها غير حيّة ، تصرف الخلايا الحية وابتد عليها بعض مميزاتا . فتمكن صانعاها من

ان يفهما بها بعض اسرار الخلايا الحقيقية. وهذا الفهم هو في الواقع الغرض من التجربة . فالحلية كانت اداة للبحث في المعمل ولم تحتو قط على سر الحياة

ومن نحو ربيع قرن اهتزت الخواطر لما شاع ان الدكتور جاك لوب ، الفسيولوجي المشهور ، صنع « الحياة » ففضب لذيوع هذا القول عنه لأنه لم يخلق الحياه في معمله ولا كان خلقها حينئذ من اغراضه . وجل ما عمله انه تمكن من تلقيح طائفة من البيض من غير ان يسمح لنطفة ذكر بلمسها . وانما تلقحها بما لجتها ببعض مواد كباوية او بنكرها ببر حادة او غير ذلك من وسائل اثاره قوى الناسل الكامنة فيها . وقد اقتنى العلماء اثره بعد ذلك فتوعوا محاولته على وجوه مختلفة . فبعضهم واد الحيوانات المعروفة « بديدان البحر » عن طريقة تلقيح البيضة بتيار كهربائي وآخر ولدضفادع ، بنكز بيوض الضفادع التي ولدت منها بارة فولاذية محددة . ولكن اصحاب هذه التجارب لا يدعون قط انهم صنعوا حياة — لانهم يبدأون بتجاربههم بيوض الانثى الحية ثم يثرون القوة الكامنة فيها بوسائلهم المختلفة

ومسألة اصل الحياة على الارض من اغمض المسائل التي عرض لها الفكر البشري ، لذلك حاول بعض العلماء والفلاسفة رفع مسؤولية حلها عن عواتقهم بقولهم ان بزورها جاءت الى الارض من نواحي الفضاء . والاستاذ سقنته ارهينيوس الاسوجي اكبر علماء الكيمياء في عصره (توفي ١٩٢٧) ظل مقتنعاً بهذا المبدأ حتى ادركته الوفاة . ولكن الموانع التي تحول دون الاخذ برأيه كثيرة لا نستطيع تخطبها . فالبرد الشديد في الفضاء الذي يتخلل الاجرام ، وميل بعض العناصر كالاكسجين الى الخروج من البزور الحية في اثناء اجتيازها للفضاء ، وطول المدة التي يتبين على هذه البزور قضاءها في اثناء اجتيازها لمسافات شاسعة لا يجتازها النور على سرعته الا في عشرات السنين وغير ذلك من الاعتراضات العلمية تحول دون التسليم بهذا القول . حتى اذا سلمنا ان جرائم الحياة جاءتنا من عالم الآخر ظلت مسألة « ما اصل الحياة » هي هي . لذلك يؤثر اكثر العلماء الاعتقاد بان اصل الحياة على الارض مع انهم يصرحون كما صرح دارون بانهم لا يدرون كيف تم ذلك

٢

وقد ذكرنا في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٩ (صفحة ١٠٧ — ١٠٨) تجارب الاستاذ هريرا المكسيكي مدير المعهد البيولوجي المكسيكي في موضوع خلق الحياة قلنا فيها :
« انه يأخذ خمسين جزءاً من زيت الزيتون ويذيبها في ١٠٠ جزء من الغازولين ثم يأخذ ١٤ جزءاً من القلي ويذيبها في مائة جزء من الماء المقطر ثم يضيف الى هذا المحلول قليلاً من صمغ الانيلين الاسود حتى يستطيع ان يفرق بين المحلولين

« ثم يضع المحلول الاول (زيت الزيتون والغازولين) في صحن فمضاح من الخزف ويقيمه في مكان هادئٍ مستوٍ حتى يثبت له ان ما فيه من الحركة غير ناتج عن فعل الجاذبية. ثم يتناول قطارة ويأخذ بها قطرات من المحلول الثاني الاسود (القلي والماء المقطر) ويزجها في المحلول الاول تحت سطحه. ثم يقدم لزاؤه عدسة مكبّرة ويطلب اليه ان يراقب ما يحدث « وفي الحال تبدأ الحركات الغريبة في الظهور. وكان القطرة السوداء اصبحت خلية حية قتيلاً ترنجف وتهز بنفسها. بل تبدأ تخرج وتنفس ثم تنقسم اقساماً كالحيوانات الدنيا. وهذه الاقسام الجديدة تأخذ في الحركة كأنها غير قائمة بالبقاء حيث هي. بل هي تطارد القطرات الاخرى آناً وتجنبها آناً وتشبك معها في معركة آناً آخر. بل هي تمد في بعض الاحيان اذرعاً كأذرع الاميبا او كأذرع السديم لمحاربة القطرات الاخرى

« فهذه القطرات الغريبة تتصرف كالحللايا الحية. تراها تغتذي وتتولد اي تكبر حجماً وتنقسم اقساماً تظهر فيها مميزات القطرة الاولى وتتحرك وتتحارب كما تفعل الاميبا في بركة من الماء تقطنها الوف من اخواتها. على ان الاستاذ هريرا لا يدعي ان هذه القطرات حية بل يعمل حركاتها ببعض النواميس الطبيعية والكبأوية المعروفة وهي النواميس التي يجري بموجبها فعل « التصيين » اي تكوّن الصابون من القلي والزيت

« فحين تزج القطرة السوداء من محلول القلي والماء في محلول الزيت والغازولين يتكون حولها في الحال غشاء صابوني شفاف. فلدنا اذاً قطرة من محلول اسود يحيط بها غشاء صابوني وكلاهما معلق في محلول تختلف مادته عنها اختلافاً بيناً

« وهذا الغشاء الذي يحيط بالقطرة السوداء كالأغشية التي تحيط بالحللايا الحية ويعرف بجدارها وهو رقيق شفاف تخترقه جواهر السوائل فحالمًا يتكون حول نقطة القلي السوداء تأخذ الجواهر من المحلول الخارجي تحاول اختراق الغشاء الى داخله وجواهر القطرة التي داخل الغشاء تحاول اختراقه حتى تخرج منه ويعرف هذا الفعل بالاسموسس فتنشأ عن ذلك تيارات دقيقة من الخارج تحاول الدخول وتيارات من الداخل تحاول الخروج فينتج عن هذه الحركات تغير مستمر متتابع في شكل القطرة وتركيبها لانها بدلاً من ان تكون محلولاً من القلي في الماء تدخل عليها قطرات من محلول آخر هو محلول الزيت في الغازولين وتتحد بها. ثم تبلغ القطرة درجة تصبح عندها ذرة من الصابون فتسكن بعد الثورة والحركة. والمدة التي تقضيها قبل بلوغ هذه الدرجة رهن حرارة السائل التي تعلق فيه، فاذا كانت حرارته ٥٠ درجة بميزان فارنهایت كانت مدة « حياة » القطرة ثلاثة ارباع الساعة « ولا تكفي نواميس الاسموسس لتعليل حركات هذه الدقائق بل لابد من تطبيق مبادئه

الضغط السطحي وبعض النواميس الكهربائية التي تعرف بها مقدار الشحنات الكهربائية التي في الايونات . ولذلك يقترح الاستاذ هريرا تجربة واسعة النطاق تتناول هذا البحث وهي بناء بحيرة كبيرة يوضع فيها المحلول الاول (محلول الزيت في الفازلين) ثم ادخال قطارات كبيرة نوعاً من محلول القلي في الماء المقطر فيستطيع الباحثون ان يدرسوا حقيقة هذه الظواهر درساً أو في «وقد جرّب تجارب اخرى بمواد آليّة مثل التين والالبومين والادهان على اختلافها فقلد حركات البكتيريا والبروتوبلازم وميكروبات الستر بتوكوكس وما اليها من الاحياء الدنيا ووجد انه يبلغ اقصى نجاح في تجاربه اذا كان في المواد التي يستعملها شوائب من قبيل المواد الرملية»

٣

فاذا صح ما نحن على وشك ذكره في ما بقي من المقال ، نقلاً عن السينفك اميركان، وأيده العلماء المشتغلون بهذه الناحية من العلوم الكيماوية والبيولوجية كانت اذاعته مفتتح عهد جديد في علمي الكيمياء الحيوية والبيولوجية وخاصة لبعض المعتقدات الفلسفية التي تتناول ماهية الحياة . ذلك لأنه ينطوي على بناء صنع المادة الحية (البروتوبلازم) من مواد غير حيّة بفعل الكيمياء الشمسية او التركيب الضوئي

لم يعن الاستاذ هريرا في تجاربه السابقة الذكر بالتركيب الضوئي . ولكنه اتجه حديثاً الى درس هذا الموضوع . وقد كان الأستاذ ماينارد شيلي رئيس «العصبة العلمية الاميركية» متصلاً به كل الاتصال في السنوات الخمس الأخيرة فكتب الاستاذ هريرا الى صديقه الاميركي كتاباً مؤرخاً في ٢٢ اغسطس ١٩٣٠ قال فيه ان عنده من الأدلة ما يمكنه اذاعة نجاحه في صنع البروتوبلازم من مواد غير عضوية—او على الأقل صنع مادة لم يستطع ان يميزها عن البروتوبلازم . والاشكال الحية التي صنعها هي من نوع البكتيريا والفطر وخلايا «النسيج الموصل» وأخرى يبدو عليها كأنها من البروتوزوي وهي ادنى الحيوانات رتبة قد تكون هذه الأحياء اجساماً غير حية ولكنها شبيهة بالأجسام الحية شهاً قوياً

فالدكتور هريرا واثق كل الثقة بأنه رأى المادة الحية المعقدة (البروتوبلازم) والتي تقوم الحياة عليها تتكون امام عينيه . ولكنه يحاط فيما يذمعه فلا يدعي بأن هذا البروتوبلازم «كامل التكوين وحي» ويكفي القول في هذا الصدد ان هذا الباحث قد خطا خطوة كبيرة في الكيمياء الحيوية بصنع مادة لم يسهل عليه ان يميزها عن البروتوبلازم

في الجزء القادم
بيان المباحث العلمية
في التركيب الضوئي
التي تقدمت مباحث
الدكتور هريرا